فِلاحَة الرُّمّان في الأندلس

فاضل السباعي

١ ـ هديّة شاميّة الى الأندلس :

هذه قرطبة ، كتب أميرها **عبدالرحمن الداخل** الى أخيّته في الشام ، يدعوها الى القدوم الى الأندلس ، وقد استتبّ له الحكم فيها . ولكن الأخت تعتذر من عدم الاستجابة ، وتقول لرسوله اليها ـ وهو القاضي معاوية بن صالح الحمصي الأصل ، الذي كان قد توجّه الى المشرق حاجّاً وحاملاً لرسالة الأمير « كبرت سنّي ، وأشرفت على انقضاء أجلي ، ولا طاقة بي على شق البحار والقفار . وحسبي أن أعلم ما صار اليه من نعمة الله » ؛ وحمّلت الوفد شيئاً من « تحف الشام » ـ كما يقول **صاحب كتاب « قضاة قرطبة »** (القرن الرابع الهجري) ـ وكان في تلك التحف **رمّان** ... « فجعل جلساء الأمير، من أهل الشام [وهم ينظرون الى الرمان] ، يذكرون الشام ، ويتأسفون عليها ! »(١) .

أرسلت **أم الأصبغ** ، في هداياها الى أخيها ، شيئاً من رمان الشام ، وما درت أنها بذلك قد **نقلت زراعته** من مشرق الى مغرب، وأن اسمها ـ اذا ما قيّض له أن يذكر في التاريخ ـ سيقترن بهذا الجانب من الهدية : الرمّان !

وتفصيل ذلك ـ كما يفيض شيخ مؤرخي الأندلس، **ابن حيّان** (القرن الخامس الهجري)ـ أن رسول الأمير الى أخيّته ، قد جلب الى الأندلس طرائف ، منها رمان **الرصافة** المنسوبة الى هشام(٢) ، فعرضه عبدالرحمن على خواص رجاله مباهياً به .. يقول ابن حيّان :

« وكان فيمن حضره منهم **سَفَر بن عبيد الكلاعي** من جند الأردن (...) ، فأعطاه [الأمير] من ذلك الرمان جزءاً ؛ فراقه حسنه وخُبْره ، فسار به الى قرية بكورة **ريّه**(٣)،

فعالج عَجَمه، واحتال لغرسه وغذائه وتنقيله، حتى طلع شجراً أثمر وأينع ، فنزع الى عرقه، وأغرب في حسنه • فجاء به ، عما قليل ، الى عبدالرحمن ، فاذا هو أشبه بذلك الرصافيّ ! فسأل الأمير عنه ؟ فعرّفه وجه حيلته • فاستبرع استنباطه واستنبل همته ، وشكر صنيعه ، وأجزل صلته ؛ واغترس منه بمُنْيَة الرُصافة وبغيرها من جنّاته(٤) ؛ فانتشر نوعه ، واستوسع الناس في غراسه ، ولزمه النسب اليه ، فصار يعرف الى الآن [القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي !] بالرمان السَّفري »(٥) •

٢ ـ ما الرمّان ؟ :

اسمه العلمي ، كما اصطُلح عليه اليوم (Punica granatum) وبالفرنسية (Grenadier) وبالانكليزية (Pomegranate) .

ويتتبع **الأسدي** (المتوفى بحلب ١٩٧٢) اسمه في عدد من اللغات :

في السريانية والكلدانية : رومنا ،
العبرية : رِمون ،
البابلية : (Nurmu) .
المصرية القديمة : (Arhmani) .
القبطية : رَمَن ،
واستمدت البرتغالية الرمان من العربية Roman (٦) •

وتعريف الرمان ، كما ورد في المعاجم العلمية :

شجر مثمر ، من **الفصيلة الآسية** (نسبة الى شجر الآس) أو **الرمانيّة** • له ضروب • **وثمرته** لوزة نباتيًا • يؤكل منها اللب المائع، الشاف ، المحيط بالبزور • **والجلّنار** زهره ، فارسية : **كُل** (ورد) **ونار** (رمان) : زهر الرمان •

وشجرة الرمان صغيرة ، معمَّرة ، متساقطة الأوراق • أوراقها لامعة ، وأزهارها كبيرة ؛ كاسياتها لحمية ؛ ونورياتها عديدة، حمراء أو حمراء برتقالية اللون ، وبعضها عقيم بسبب اختزال المَبيض •

الثمار كريّة ، مضلعة أحياناً ، في حجم البرتقالة ، بطرفها بقية الكأس الكبيرة •

الجلد ، أو القشرة ، ملساء سميكة ، لونها أصفر مخضرّ ، أو مُشْرب بحمرة ، أو أحمر قرمزي •

الثمرة محشوّة **بحب** ، أبيض أو أحمر، مائي لامع ؛ وفي كل حبة بذرة صلبة ، أو لينة في بعض الأصناف •

وعصير الرمان مزّ لذيذ منعش •

وقديماً ، عرّفه **أبو حنيفة الدّينَوَري** (القرن الثالث الهجري) ، قال :

شجر الرمان معروف · وله نوّار أحمركالأزرار ، ثم يكبر ، ويفتّح كقوالب السكر، مشرفةالرؤوس، بعضها ما هو مثمّن والبعضمسدّس ، وداخل هـذا القمع نوّار أصفر ، يعلوها ورق أحمر أرق بشرة من الحرير(٧) ·

وعدّد **أبو البقاء البدري** (من أهل القرنالتاسعالهجري) أصنافه في عصره، فقال هي:

شويكي ، بردي ، ماوردي ، ملّيسي ، كوفي ، برجنيقي ، سماقي ، شويخي ، مصري، سلطاني ، محجر ، مطوق ، تدمري ، لقيط ،حصوي ، طقاطقي ، قطي ، مشبه ، حامض للطعام ، لفّان ، رأس البغل(٨) ·

وفي عصرنا ، عرّف **الشيخ كامل الغزي**(ت بحلب ١٩٣٣) ، أصنافاً له خمسة ، قال :

الصنف الأول يقال له **الملّيسي** : أصفرباهت ، رقيق القشر ، لا تزيد الواحدة منه على خمسين درهماً · حبّه أبيض ، مضمحلالعجم جداً · وهو عندنا أرفع أنواع الرمان وأندرها · ويوجد في بساتين حلب قليلاً ،وبالرها كثيراً(٩) ·

الثاني **صهيوني** : أخضر أصفر ، قدتبلغ الواحدة منه أربعمئة درهم · أبيض الحب ، محمرّه قليلاً ، صلب العجم · يوجد منه في بساتين حلب وتاذف والباب ودير كوش وغيرها ·

الثالث **المصري** : قد تبلغ الواحدة منهمئتي درهم · ياقوتي القشر والحب ، صلب العجم ·

الرابع **الصفروني** : أصفر القشر الىالبياض ، أبيض الحب ، قد تبلغ واحدته مئة درهم · صلب العجم ·

الخامس يعرف **بالأسود** ، لسواد لونقشرته · رديء الحب ، لا يؤكل غالباً ، انما يستعمل هو وقشره في قوابض المعدة ·

ويوجد في كل نوع منها : الحلو والحامض والمزّ(١٠) ·

ولجمال زهر الرمان ، الجلّنار ، وللذاذة طعم ثمره ، الرمان ، فقد كان لا بد من أن يتوقف عندهما الشعراء، فيمشرقومغرب، يصفون ويتغنّون ···

في زهره ، يقول **أبو فراس الحمداني** (القرن الرابع الهجري) :

وجُلّنارٍ مشرفٍ على أعالي شجرَهْ
كأن في رؤوسه أحمرَهُ وأصفرَهْ
قُراضة من ذهبٍ في خِرقٍ معصفرَهْ(١١)
(مجزوء الرجز)

وللشاعر الأندلسي ، **أحمد بن فرج الجياني** (من القرن الرابع الهجري) ، قصيدة كتبها الى من أهدى اليه رماناً ، منها :

ولابسة صدفاً أحمرا أتتك، وقد مُلئت جوهرا
كأنّك فاتح حُقٍّ لطيفٍ تضمّن مرجانَه الأحمرا

وللسّفر تُعْزى ، وما سافرت
فتشكو النوى أو تقاسي السرى

بلى ! فارقتْ أيكها ناعماً رطيباً، وأغصانها نُضّرا!(١٢)

(المتقارب)

٣ ـ مؤلّفو كتب الفلاحة الأندلسيون :

بدءاً من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، أخذت تظهر في الأندلس المصنفات التي تبحث في الفلاحة . وقد عول مؤلفوها على ما عرفوه من المصادر المشرقية ، مثل **كتاب النبات** لأبي حنيفة الدّينوري وكتابي **الفلاحة** لابن وحشية وابن لوقا البعلبكي ، وذلك بمقدار اعتمادهم على **التجارب الفلاحية** التي مارسوها واغتنَوا بها في ديار الأندلس الخصيبة .

وهذه الكتب هي (ونوردها حسب زمن مصنفيها) :

١ ـ **المقنع في الفلاحة** ، لأحمد بن محمد **بن حجاج الاشبيلي** (كان حيّاً في سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢ م) . نشر في سنة ١٩٨٢ بعمّان ، بتحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية ، في منشورات مجمع اللغة العربية الأردني .

٢ ـ **مجموع في الفلاحة** ، لأبي المطرف ، عبدالرحمن **بن وافد ، الطليطلي** (ت ٤٦٧هـ/ ١٠٧٥ م) .

٣ ـ **كتاب الفلاحة** ، لأبي عبدالله، محمد بن ابراهيم **بن بصال، الطليطلي** (حيّاً ٤٧٩ هـ/١٠٨٦ م) ، ثم اختصر الى كتاب« القصد والبيان » . نشر في سنة ١٩٧٥ بتطوان ، بتحقيق المستشرق خوسي ماريا بييكروسا ومحمد عزيمان .

٤ ـ **زهر البستان ونزهة الأذهان** ، لأبي عبدالله ، محمد بن مالك **الطّغنَري** ، المعروف **بالحاج الغرناطي** (حيّاً ٤٨٠ هـ/١٠٨٧ م) ، ما زال مخطوطاً(١٣) .

٥ ـ **كتاب الفلاحة ، لأبي الخير الاشبيلي**(من علماء القرن الخامس الهجري) . نشر في سنة ١٣٥٧ و ٥٨ هـ (١٩٣٨ و ٣٩) بفاس ، بتحقيق محمد بن عبدالملك الرسموكي(١٤) .

٦ ـ **الفلاحة في الأرضين** ، لأبي زكريا، يحيى بن محمد بن محمد بن أحمد ، المعروف **بابن العوام الاشبيلي** (من علماء القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) . نشر في سنة ١٨٠٢ بمدريد، في جزأين (مع ترجمته الى الاسبانية) ، وأعيد طبعه فيها مصوراً في سنة ١٩٨٨ .

٧ ـ **أرجوزة في الفلاحة** : كتاب ابداء الملاحة وانهاء الرجاحة في أصول صناعة الفلاحة، لأبي عثمان، سعد بن أحمد **بن ليون التجيبي** ، من مدينة المرية (ت ٧٥٠ هـ/

١٣٤٩ م) · نشر في سنة ١٩٧٥ بغرناطة (مع ترجمته الى الاسبانية) ، بتحقيق المستشرق اجواراس ابانيث(١٥) ·

٨ ــ وأحب أن ألحق بهذه الكتب ما يقع مضمونه في الطب النباتي ولكن فيه جانباً فلاحياً ، هو كتاب : **حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقّار** ، لأبي القاسم بن محمد بن **ابراهيم الغساني**، الشهير بالوزير(ت١٠١٩هـ/١٦١١ م ، وهو مغربي ابن لأندلسي نزح عن الوطن بعد سقوط آخر المعاقل ، غرناطة) · نشر في سنة ١٩٨٥ ببيروت (دار الغرب الاسلامي) ، بتحقيق محمد العربي الخطابي(١٦) ·

وفي المشرق ، كان قد صنّف في الفلاحة كتابان قبل هذه ، وصنف غيرهما فيما بعد كثير · وأهم ما هنالك ــ فيما نرى ــ هذه الكتب الثلاثة التي سنستعين ــ في استيفاء البحث في فلاحة الرمان ــ بها ، أو باثنين منها على الأقل · والثلاثة هي :

٩ ــ **الفلاحة النبطية** ، لأبي بكر ، أحمد بن علي **بن وحشية** (ت بعد ٢٩١هـ/٩٠٤م) · طبع منه ، في سنة ١٩٧٥ ببيروت ، مقتطفات بعنوان : « الفلاحة النبطية لابن وحشية ، دراسة جديدة لأثر زراعي قديم » لعادل أبو النصر ·

١٠ ــ **الفلاحة الرومية ، لقسطوس بن لوقا البعلبكي** (ت بعد ٣٠٠ هـ/٩١٣ م) · نقله الى العربية سرجس بن هلبا · نشر في سنة ١٢٩٣ هـ/١٨٧٦ م) بالقاهرة ، بعنوان **الفلاحة اليونانية** ·

١١ ــ **مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، لمجهول** (من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي) · نشر في سنة ١٩٨٤ بالكويت ، بتحقيق الدكتور محمد عيسى صالحية والدكتور احسان صدقي العمد(١٧) ·

ونلاحظ أن اللفظ ، الذي كان يستحوذ على المعنى قديماً ، هو **الفلاحة** لا الزراعة ، مما يدل على أن غلبة لفظ **الزراعة** انما كانت في أيامنا : وزارة الزراعة ، الجمعية الزراعية ، زراعة الرمان ···

فمعجمات اللغة تنص على أن الجذر **(ف ل ح)** يشير الى معاني ثلاثة هي : **الظفَر، والمكْر ، والشّق !**

المعنى الأول : فَلَح فَلَحا (بالفتح) وفَلاحا : يدل على **الظفر، والفوز، والنجاة** (حيّ على الفلاح ، أي : أقبِل على النجاة) ·

الثاني : فَلَح البائع في البيع ، فَلاحاً: زاد في ثمن السلعة ليخدع المشتري ! ومنه : التفليح : **الاستهزاء والمكر** · وهو معنى نراه **غاب عن التداول في كتاباتنا المعاصرة !**

الثالث : فَلَح الشيء فَلْحا : شقّه · يقال : فلَح الأرض : **شقّها للزراعة** · وفَلِح يفلَح : انشقّت شفتُه · وانفلحت الشفة أو اليد : تشقّقت · وفي رجله فُلوح : شقوق · « والحديد بالحديد يُفلح » ، أي : يُشق ويقطع ·

والفلاحة (بالكسر وبالفتح) : الحراثة · وهي، أيضاً، القيام بشؤون الأرض الزراعية، من حرث وزرع وري ونحو ذلك ·

والفلاّح : الاكّار (الحرّاث) ، والمُكاري (عامل الأرض المستأجَر) ، ومحترف الزراعة ·

وأما الفعل (ز ر ع) ، فما ذكرته المعاجم أن الزرع هو : **طَرح البَذر في الأرض** · وزرع الأرض : **حرثها** للزراعة ·

والزراعة ، اليوم ، مثل الفلاحة Agriculture : فن زراعة الأرض ، أي : فن استثمار النباتات والحيوانات الزراعية على أكمل وجه اقتصادي(١٨) ·

ومن ناحيتنا ، سنستعمل ، في البحث ، اللفظ الذي كان سائداً : **الفِلاحة** ·

٤ ـ الرمان غرساً وزرعاً :

يتكاثر نبات الرمان : **بالغرس ، وبالعكس ، وبزراعة أشطائه ، وبمعالجة حبّه** ·

١ ـ فأما **الغرس** ، فأن تؤخذ أغصان(أو أوتاد) من شجر الرمان ، وتزرع في الأرض · والحفرة التي تنصب فيها الغريسة، هي الفقير (ج فُقُر) والجُب (ج جِباب) ·

٢ ـ وأما **العكس** (وهو الترقيد مع التجوّز) ، وسمّاه ابن العوام : التكبيس والتغطيس، وهو في عامي الشام: التدريخ·· فان وجه العمل فيه أن يُحنى غصن ـ دون أن يُفصل عن أمه ـ ويدفن في التراب ؛ أو أن يجمع التراب حوله على نحو ما · حتى اذا صارت له جذور ، فصل عن أمه وزرع ،فيكون نباتاً مستقلاً اسمه العكيس(١٩) ·

٣ ـ **والشَّطء** (ج أشطاء) ، وسماه الحاج الغرناطي الطِّغْنَري **مَلْخ** (جملوخ) : هو غصن أو ساق تنمو من البراعم العرضية الناشئة على الجذور ، وقد تنمو بعيداً عن ساق الأم · واتخاذ الرمان من الأشطاء ، أو المُلوخ ، يكون بأن يؤخذ هذا الشطء ، أو الملخ ، ويزرع ·

٤ ـ وأما زراعة الرمان من **حبّه** ، فهو على ما فعل سَفر الكَلاعي في تلك القرية من كورة ريّه ، في القرن الثاني للهجرة ، حسب رواية ابن حيّان : « عالج عَجَمه [حبّه ، نواه] ، واحتال لغرسه وغذائه وتنقيله ، حتى طلع شجراً آثمر وأينع »(٢٠) ·

وأما الأرض ، التي توافق فلاحة الرمان ، في نظر الفلاحيّين الأندلسيين :

فهي ، عند **ابن حجاج الاشبيلي** : « مكان دفيء ، قليل الماء »(٢١) ·

وهي ، عند **ابن بصال** : « الرملة الحلوة والأرض الرخوة »(٢٢) ·

وتوافق فلاحة الرمان ، في رأي **الحاج الغرناطي** ، « البلاد الحارة والبلاد المعتدلة ، وتوافقه الأرض الحمراء ، أو الأرض الرفيعة ، والأرض الرطبة ، ويوافقه كثرة الرمل »(٢٣) ·

ويعدد **ابن العوام** ، في كتابه الفلاحة في الأرضين ، أنواعاً كثيرة من التربة ... يقول:

« يوافق الرمان ، من أنواع الأرض ، ما هو منها مائل الى الحلاوة ، والأرض الحمراء الرخوة ، والرقيقة الرطبة ؛ والرملة الحلوة توافقه أيضاً ؛ ويجود في الأرض الرخوة الدهنة والمواضع الرطبة ، ويشتغل بالايناع في الأرض الطيبة الكريمة ويقلّ حمله فيها ! وقيل : ان التجارب أعلمت أن الرمان والزيتون يصلحان في المواضع اليابسة »(٢٤) .

٥ ـ الرمان : أنثى وذكر !

أكد القدماء أن الرمان أنثى وذكر : فالأنثى هي التي تحمل ثمراً ، والذكر لا يتعدى أن يزهر جلنارا ، فسموه باسم زهره : الجلنار !(٢٤م) .

وقد لخص ذلك ـ في القرن العاشر الهجري عشر ـ **الغساني الوزير** وهو في **فاس** ... قال :

الذكر هو **الجلنار** ، « شجره كشجره ، الا أن شجر الرمان له شوك حاد ، وينور ويثمر ؛ الجلنار لا شوك له ، وينور **ولا يثمر** ، ونوره كنور الورد المضعف ، وهو شديد الحمرة كثير الورق ، ويعرف عندنا بفاس بالجلنار ، يتخذ بالبساتين ... »(٢٥)

وللرمان الأنثى « أنواع كثيرة : فمنه الحلو والحامض والمز ، والمائي والعظمي . و (للرمان) ألقاب وأسماء عند العامة **بفاس** ، مختلف باختلاف أصنافه وأنواعه ، فمن ذلك : السلطان (وهو أجودها وأرفعها) ، ثم السفري (وهو دونه) ، ثم الكلخي ، ثم ميمونة (وهي أعظم ثمار الرمان) ، ثم العظمي (وهو أردأ أنواع الرمان وأقله) . والرمان **بمراكش** كله جيد وليس فيه رديء ، وهو نوع واحد : **السفري** ، يعظم كثيراً كمثل ما يعظم صنف ميمونة عندنا بفاس »(٢٦) .

وقبل أبي القاسم الغساني ، بنحو خمسة قرون من الزمان ، عدّد **ابن العوام الاشبيلي** أصنافه :

« هو أنواع، منه: الشعري، والأمليسي، والسحي (وهو الدواري ، يقال له الدلوي أيضاً) ، ومنه القسطيسي ، والعدسي ، والمرسي ، والنحزابني ، وهذه كلها حلوة الطعم ؛ ومنه المرواني (وجرمه كبير ولحمه غليظ وحبه أحمر فاقي [قاني] ؛ ومنه الحامض ؛ ومنه الرمان الذكر وهو الجلنار . [وأضاف و] يذكر أن الرمان الشعري أهدته أخت لعبد الرحمن الداخل الى الأندلس اليه في جملة هدية بعثت اليه فيها من **بغداد** ، وقيل أهدته اليه من **المدينة** [**المنورة**] **وأنه** مما غرس النبي ﷺ بيده بها ، وسمي **سفريا** لذلك ، قيل : بل كان اسم الرجل الذي فلحه بقرطبة سفرا أو مسافرا ، فسمي : سفريا لذلك ... » !(٢٧) .

وذكر **ابن حجاج** أن في الأندلس نوعاً من الرمان يسمى : المحسوم أو البرجين ، ووصف لنا معالجته كي يصبح سفريا : « فاحفر في أصله ، في يناير [كانون الثاني] ، من من حواليه ، شبراً ، واحشها رماداً ، واسقه ثلاثين يوماً »(٢٨) .

وفي فصل آخر **لابن العوام** حول الجلنار، قال :

« هو الرمان الذكر : منه بستاني ، ومنه جبلي ، وهو أكمل ورقاً وأبنى زهراً وأغلظ نواراً من الرمان ، وزهره أحمر ؛ ومنه مورّد؛ ومنه أبيض » ٠

وقال انه يُذكّر به الرمان ٠٠٠ ف « من أحب قلب الرمان الى الجلنار ، فليغرس أوتاد الرمان ، غير محدودة الأطراف ، منكسة ، في شهر نوفمبر [تشرين الثاني] ، وبعد عام يقلعها ويقطع (لقحها) بحديد قاطع ، ويغرسها منكسة أيضاً ٠٠٠ يفعل ذلك بها أربع مرات في أربعة أعوام ، ثم يسترحها (!) في الخامس ، فانها تنور نوارا أكثر من نوار الرمان ولا يعقد بوجه ٠ وليستكثر من الأوتاد، فانها ـ بكثرة تكرار القلع والغراسة عليها ـ يفسد بعضها »(٢٩) ٠

وأيد تقسيم الرمان الى ذكر وأنثى ، العشاب الأندلسي المقيم في مصر والشام ، **ضياءالدين بن البيطار** (من القرن السابع الهجري) ، حين عرّف الجلنار : « معناه بالفارسية : ورد الرمان ، وهو الرمان الذكر، وأجوده المصري » ؛ ثم ينقل عن العشاب الاغريقي الأشهر **ديسقوريدس** (من القرن الأول الميلادي) : الجلنار « بالوسطيون [يونانية Balaustion] ، وهو جلنار بري ؛ أصنافه كثيرة ، منه : أبيض ومورّد أحمر ؛ وخلقته كورد الرمان »(٣٠) ٠

ويرد ، في القرن الثامن الهجري ، تعليم في **مفتاح الراحة :** « ان أحب انسان أن يصير الرمان كله رَعْثاً، فليغرس القضبان منكوسة، فان الجلنار يعظم حتى يكون في قدر الرمان »(٣٠ م) ٠

٦ ـ اتخاذ الرمان من أوتاده :

قلنا : ان من طرق تكثير شجر الرمان أن يتخذ من **أوتاده** غرساً ٠

ووجه العمل في ذلك أن تحضّر ،، أولا ،الأرض: « تحوّض، وتعمر ـ بعدالتحويض ـ عمارة جيدة » ، كما يقول الحاج الغرناطي(٣١) ٠

وأن تؤخذ الأوتاد (الأغصان ، القضبان) ـ كما قال غيره ـ من أشجار الرمان ٠ فان اقتطعت « من **أعلى الشجرة فانه أسرع لحملها** »(٣٢ ٠

ولتكسح الأوتاد « بمنجل ماض مسقى ،كسحاً مواربا كما يبرى القلم »(٣٣) ٠

وليكن **طول الوتد شبرين اثنين** ، يكون منه ـ عند الغرس ـ « تحت الأرض أقل من شبر ونصف ، وفوق الأرض نصف شبر ٠ ويرزم (!) التراب بالقدم ، حوالي الأوتاد ، رزماً جيداً ، (ويسقى ، ثم) يتعاهد بالسقي في كل ثمانية أيام »(٣٤) ٠

ويقول الحاج الغرناطي ، صاحب « زهر البستان ٠٠ » ، في تعليمه :
« فاذا انبعثت الفروع في عمارتها في كل وقت ، تحفر أرضها ، وتسقى اذا أعشبت ؛ ولا يتعرض لها بالحديد والتنقية بوجه ، الا بعد عام من غرسها ٠

« فاذا **أتى عليها عام** ، أخذ الزبل الرقيق ورماد الحمامات والرمل الرقيق ، وخلط ، وزبّلت به الأرض زبلا جيداً ، ونقشت وبولغ في نقشها · فاذا همت أن ( )(٣٥) باللقح سقية ، ويوالى عليها بالعمارة والسقي ·

« فاذا أتى عليها **ثلاثة أعوام ، نقلت** حيث يراد تنقيلها ، بأن تقلع من جميع أصولها ـ وان قلعت بأصولها كان أجود ـ ويجعل بين الشجرة والشجرة من الرمان ثلاثة أبواع »(٣٦) ·

وغرس أوتاد الرمان ـ كما يقول ابن العوام الاشبيلي ـ يكون في **شهر يناير (كانون الثاني)**(٣٧) ؛ وهو بعد كل شيء ، يتحفظ في اتخاذ الرمان من **أوتاده** ··· يقول نقلا عمن لم يسمهم : « وقيل : ان أغصانه اذاغرست **قلّ حملها** »(٣٨) ، فكأنه يفضل ، على هذه الطريقة في تكثير الرمان ، طرقاً أخرى (مما يأتي بيانه) ·

٧ ـ اتخاذه من نباته :

كذلك سمى الحاج الغرناطي **العكّس**(الترقيد) في فصل جعل عنوانه : اتخاذ الرمان **من نباته**؛ على حين سماه ابن العوام الاشبيلي، كما أسلفنا : **التكبيس والتغطيس** ·

يقول الغرناطي :

« تُفتح له [في الأرض] خطوط، **وتُثنى[أغصانه]** الى الخطوط برفق ، ويرد عليها التراب ويرزم· وتقوّم أطراف [الغصن] الى فوق على استواء · ويواظب [عليه] بالماء ، يفعل ذلك الى شهر نوفمبر [تشرين الثاني] ·

« فان كان عام آخر ، عُمد الى ذلك النبات **المنكّس**(٣٩)، **فقطعت** من شجرة الرمان، **وقلعت** بجميع اصولها ، ونقلت ، وفتح لها **الحفر** كل قدر اجرامها في السعة · وينزل لها في الأرض قدر ثلاثة أشبار · فاذا ردّ التراب في الحفر ، يدخل الحصى المتوسط ، فيخلط بالتراب ويرد في الحفر ويرزم بالقدم ، حتى تمتلىء [الحفر] ·

« ويكون بين الشجر من البعد ثلاثة أبواع · وتسقى في كل ثمانية أيام · ولا تترك أرضها بغير عمارة ، ولا يغفل عنها بالتنقية والنقش للأرض ، حتى تثمر وتحمل حملاً جيداً »(٤٠) ·

ثم يقدم الحاج الغرناطي لنا معلومة من عنده :

« واعلم أن ما غرس من وتد الرمان **منكّساً** ، فانه يأتي **كثير السقط** ، لا يجدي (شيء) من حمله بوجه · وان عولج لا ينفع العلاج بشيء · وانما ينفع العلاج في ما غرس **قائماً** على حسب ما كان في شجره »(٤١) ·

وعند ابن العوام الاشبيلي أن الرمان « يكبس **في دجنبر [كانون الاول]** · ولا يعمّق (له) أكثر من شبرين »(٤٢) ·

٨ ـ اتّخاذه من المُلُوخ :

قلنا : ان **الأشطاء** (مفردها شَطء ، وأيضاً: **الشَكْر**، شَكِير) ، هي تلك الأغصان، أو السوق ، التي تنمو من البراعم العَرضية الناشئة **على الجذور** ، وقد تنمو **بعيداً عن ساق الأم** ٠

وقد أطلق **الحاج الغرناطي** على الأشطاء: **المُلُوخ** (مَلْخ) ٠٠٠ وقال في اتخاذها :

« يعمد الى الرمان ، **في العشر الأواخرمن شهر فبراير [شباط]** ، فتؤخذ منه القضب [يعني الأشطاء ، المُلوخ] المحدثة ، الملس ،المنبعثة أحسن انبعاث ، ويكون غلظها مثل الابهام الى غلظ الأقلام الكتابية ٠

« ويعمد الى الأحواض ، فيُخط لتلك القضب خطوط ، كل خط طوله ثلاثة أشبار في عمق ثلاثة في عرض شبر ٠

« وتكون تلك القضبان في الحفر بحيث يأخذ القضيب الحفرة من أولها الى آخرها ، **وتثنى قليلاً [قليلا] لئلا تتكسّر** ، ويرد عليها التراب مع الرمل ، على ما ذكرناه ٠

« فان كان انما غرست **لتنقل** ، جعل بينها أقل من باع ٠ وان كانت **ستبقى في** مواضعها ، جعل بين الغرسة والغرسة من البعد أقل من ثلاثة أبواع »(٤٣) ٠

وعند ابن العوام ، أيضاً ، أن الرمان« يُغرس مَلخُه **في فبراير [شباط]** »(٤٤) ٠

٩ ـ اتّخاذه من حبّه :

لو أنه تراءى لنا أن نتخيل ما فعل **سَفر الكَلاعي** بالرمانة ـ تلك التي قدمها له أميره عبدالرحمن الداخل ـ وقد عاد بها فرحاً الى مقره في كورة ريّه ٠٠٠ لتبينا أنه عين ما شرحه لنا ـ بعد نحو ثلاثمئة وخمسين سنة ـ العالم الفلاحي أبو زكرياء **بن العوام الاشبيلي** في كتابه الموسوعي **الفلاحة في الأرضين** ٠

يقول ابن العوام، **في تحضير حب الرمان** تمهيداً لزرعه :

« تؤخذ **رمانة نضجة** من أحسن أنواعها، وينشر حبها ، **ويعصر** ، ويؤخذ **النوى** ، ويغسل بالماء ، ويجفف (٠٠٠) ، ويرفع في آنية جديدة ؛ [ولا يفوته أن يُنبّه] وهو من الزراريع الضعاف »(٤٥) ٠

وفي **اعداد الحفيرة وزرع الحب فيها** ، يقول :

تتخذ الحفيرة « في تراب طيب من وجه الأرض ، مخلوط بزبل قديم ، ورمل ورماد »؛ ويلقى « من حبّه ، في الحفيرة الواحدة ، من الستة الى التسعة ، ثم الى اثني عشرة (!) أزيد من ذلك ، ويفصل بينها بالتراب ٠ويسقى بالماء عقيب غرسه ، ولا يكثر عليه أول غرسه »(٤٦) ٠

وفي **رعايتــه وتنميتــه :**

« يزبّل ، اذا كان على قدر شبر ، ببعرالغنم وزرق الحمام وتراب سحيق ، أثلاثاً · ويتعاهد بالسقي اليسير بالماء · فاذا صار الىنحو شبرين، فيزاد بالسقي علىترتيب »(٤٧)·

وفي **تحويلــه** ، الى حيث يراد ابقاؤه ، يقــول :

« وينقل ، **بعد ثلاثة أعوام** أو نحوها ، الى المواضع التي تصلح له · ويغرس نقله في حفرة عمقها نحو ثلاثة أشبار، لأنها من الأشجارالتي تدب عروقها بقرب وجه الأرض · ويخلط مع التراب الذي تغرس فيه ، رماد · ويجعل ،بين نقلة وأخرى ، ستة أذرع الى ثمانية أذرع (···) ، وان نقلت نقلة ، بحرزة من ترابها ،كان أجود · ويزبل نقله ، بعــد عام من وقت غراسته ، بزبل دقيق مخلوط برماد الحمامات والرمل ··· »(٤٨) ·

وعنده أن زراعة حبِّــه تكون **في ينــاير(كانون الثــاني)**(٤٩) ·

١٠ــ شجر الرمان ، خصائص وخواص (٥٠) :

أكد الفلاحيون الأندلسيون أن الرمان منالثمار التي **تضر بها الشمس** · ولذلك نصحوا ــ وفي طليعتهم الحاج الغرناطي ــ بأن يغرسشجره « قريباً بعضه من بعض ، حتى لا تأخــذ الشمس شيئاً من ثمره · فاذا ما أخذت منــهشيئاً من ثمره ، **صغر حبّه ، وابيضّ ، وفسل طعمه ، وأتى عفصاً مفرط العفوصة** ، وما لم تأخذه الشمس رقّت قشرته ، وعظم حبّه ، وصغر نواه ؛ ولذّ طعمه ؛ فهو في هذا مخالفلجميع الشجر »(٥١) ·

ويستحب لشجره **الذهاب في الهــواء** · يقــول ابن حجــاج : « ان أردت أن تطــول [شجرته] ، فاجعل معها من حجارة البحر(٥٢)(···) ؛ وان كانت قــد نصبت ، فانصب في أصلها بصل الفــأر »(٥٣) · وينصح صاحب« مفتاح الراحــة » بـ « **ألاّ يشمّر** [شــجر الرمان] ، وتترك أغصانه **شَعَثَة** ، فان هذاالنبات يراد ارتفاعه في الهواء »(٥٤) ·

ويؤكد ابن العوام أن شجره ينمو ويحيا بالماء :

« ان حياة شجر الرمان ، ونشوءه ، انمايكون بكثرة السقي بالماء · فيسقى في كل يوم سقية ، منذ يغرس ، وبعد آن ينبت ، والىأن يحمل ، وبعد حمله أيضاً · فانه يحتاج الى ذلك »(٥٥) · ويستدرك ، في موضع آخــر :« وان قلّل سقيه لم يضره (···) واستحبوا أن يسقى من آخر يونيه [حزيران] كل خامس،الى آخر سبتمبر [أيلول] » ··· ويقــول : « وتوافقه العمارة الكثيرة »(٥٦) ·

ولشجر الرمان **خواص** تعرّفهــا القــدماء :

وقبل الأندلسيين ، قال قسطوس البعلبكي : « وشجرة الرمان ، سواء كانت مثمرة أو غير مثمرة ، لا يقربها شيء مــن الهوام ![ويضيف] ويذب بعضالطير الهوام عنأفراخه بأن يعلّق في وكره من **عيدان الرمان** ! »(٥٧)·

ونقل ابن العوام عن أحد قدماء اليونانيين : « أن بين شجر الرمان **وبين الحيّات والأفاعي ، معاداة بالطبع** ، مانعة للحيات من المقام في اصول شجر الرمان ، خاصة الأفاعي السود والشجاع والأرقم . فانّا نراها عياناتكره الرمان . ونرى الأفاعي وغيرها من أصناف الحياة تهرب من التقرّب من الرمان ؛ودخان خشبها وقشورها وأغصانها ، يطردها ! »(٥٨) .

ويتابع ابن العوام : « ومن خواص الرمان الحلو . **أن يُخرج طعم الدخان من الطبيخ** . فان تدخّنت قدرة مطبوخة دخاناًغيّر طعمها ، فتؤخذ رمانة حلوة ، فيلقى حبّها في القدرة ، ويتبع بقليل من شحم البقر،فان الدخان يزول طعمه عنها ؛ ويزول ، أيضاً بهذا ، عن القدر ، كل طعم كريه ! »(٥٩) .

ومن خواصه ، التي أطالوا الوقوف عندها ، تلك التي سموها **مؤاخاة الرمان لغيره من أنواع الشجر** ، وخاصة الآس .

فابن حجاج يقول ، وكذلك ابن العوام بعده بمئة سنة : « **والآس** والرمان ، بينهما مؤاخاة . فاذا غرستهما معاً كثر حملهماواتصلت عروقهما »(٦٠) .

وأشار ابن لُيون التُجيبي ، في أرجوزته الفلاحية ــ وذلك في أثناء حديثه عن الزيتون كما بدا ــ الى تلك المؤاخاة ، أو المجاورة ، بين الزيتون والجلّنار (ولا أقول: الرمان !)، قال :

والجلّنار نافع" **للزيتون**ْ فغَرسُه بالقرب منه يبغون(٦١)

وقبلهم أفاض البعلبكي في ذلك ... قال :

« الرمان يعلق **بالآس** اذا أضيف اليه . وقال ديمقراطيس العالم(٦٢) : ان الرمان والآس متحابان ، فاذا تجاورا وتقاربا في الموضع ، **كثر نزلهما واختلفت عروقهما** ، وان تباعدا بعداً ليس بالكثير ، لما بينهما من الألفة والمحبة ! والرمان يعلق أيضاً بشجرة **الغَرَب** اذا أضيف اليها ، ويعلق **بالتفاح والكمثرى والسفرجل** . [ويستدرك] الا أن أجود ما أضيف اليه الرمان : الآس والغَرَب ،فانه اذا أضيف الى احد هذين النوعين قلّ ألاّ ينجبا . (وأضاف أخيراً) وقال شادهمس العالم: ان الرمان يألف **الأُتْرُج** ! »(٦٣) .

١١ ــ رعاية حمله :

والأندلسيون عرفوا طرقاً لرعاية حمله: **تعجيلا له ، واكثاراً منه ، وتفادياً لسقوطه أو انتثاره .**

ففي **تعجيل الحمل** في شجر الرمان ، يقول ابن حجاج : ان اتخاذ **الأوتاد** للغرس ، **من أعلى الشجرة** ، « أسرع لحملها ؛ [وينصحك] وعمّق غرسه في الأرض ذراعاً »(٦٤) . وفيما بعد يضيف صاحب « مفتاح الراحة » : ان**ذكر الرمان ، الجلنار** ، « اذا علّق منه على شجرة [قد] تأخّر حملها ، أسرعت الحمل ؛وان علّق على الحاملة كملت و [هو] يدفع

العوارض عنها ؛ وان علّق على التي لم تحمل الا حملا ضعيفا لطيفاً ، تغير عن ذلك الى الكبر والرزانة والحسن ! »(٦٥) ·

وتعرّفوا ، كذلك ، طرقاً **لاكثار حمله** ·

فابن حجاج ، ثانية ، ينصحك وأنت تغرس أوتاد الرمان : « ان أردت أن يكثر حمله ، فانصب القضيب منكوساً ! »(٦٦) ·

وقبله قال قسطوس **بن لوقا** :

« وأما ما يعمل للرمان فيكثر حمله ، فهو أن يعمد الى **البقلة الحمقاء** فتيبس ، ثم تدق مع دواءين ــ يسمى أحدهما ترس والآخر بوداميلون ــ أثلاثاً ؛ ثم يجعل ، بعد الدق ، في اناء ؛ ويصب عليه ماء عذب ، ويرض فيه؛ ثم يطلى بذلك أصل شجرة الرمان الذي يلي وجه الأرض [و] غصونها ، في كل عام مرة ، قبل تصورها(٦٧) ، فانه يكثر لذلك حملها »(٦٨) ·

وكان لا بد من أن يتوقفوا طويلا عند **سقوط الحمل** ، ويصفوا له ضروباً من العلاج.

وقد خص **الحاج الغرناطي** ذلك بفصل من كتابه ، ابتدأ فيه القول :

« ان الرمان ، اذا غرس **منكوساً** ، وتده ونباته ، على خلاف ما كان في شجره ، **فانه** يسقط حمله ولا يثبت ، ولا ينفع فيه علاج بوجه ، ولا راحة فيه ! »(٦٩) ·

ثم يروح يعدد حالات ، ويصف لكل منها العلاج المناسب :

١ ــ « فاذا رأيت الرمان كثير السقوط، فاعمد الى عيدان **الطرفاء بعيونها**(٧٠) ، وعلّقها عليه ؛ فان نجح ، والا [فخذ](٧١) أصل ( )(٧٢) ، فانضد خمسة أصول في خيط ، وعلقه في أغصان الرمان ، في كل غصن منها أربعة الى خمسة ، فانه يمسكه ! ».

٢ ــ « ويُذكَر بأن يعلق على (الشجرة) خرق كناسات الحمر (!) ، فانه يمسكه » ·

٣ ــ « وذُكِر أنه يصنع في أصل الرمان(٧٣) ، **خلخال ورصاص** ، أسفل الشجرة قرب عروقها ، فتمسك الحمل » ·

٤ ــ « والجميع قال: أن يؤخذ **الرماد**، أي رماد كان ، فيخلط مع الرمل مشاطرة ؛ فاذا كان في شهر يناير [كانون الثاني] ، كشف عن أصولها من الرمان ما عليها من التراب(٧٤) · وتسقى ، في شهر يناير ، ثلاث سقيات ، فان حملها يثبت ولا يسقط ، الا ما لا خطر له ، ويكثر ورقه وحمله » ·

٥ ــ « وان غُرس **بصل الفأر** الى جنب الرمان ، بحيث تلتحم عروقه مع عروق الرمان ، صلح بذلك وثبت » ·

٦ ــ وأخيراً ، نقل عن قسطوس بن لوقا : « الفلاحة الرومية : ان غُرس **الريحان** ، في جنب الرمان ، زاد حمله ، وطرد عنه الآفات ! »(٧٥) ·

وفي « مفتـاح الراحـة » :

ان « من أراد **ألا ينتثر [حملها]** ، فليأخذ **كناسة البيدر وقصله** وعوده وما يكون فيه، ثم يحفر أصل الشجرة ، ويطمر ذلك فيها ؛ فان نباتها يحسن ولا ينثر ثمرها ؛ أو يُعلق في الشجرة **صفيحة رصاص** »(٧٦) ٠

١٢ ـ تدبـير ثمـاره :

ولقد فضل محبو الرمان دائماً ـ ولهـم العذر ! ـ أن تكون ثمرته **كبيرة الحجم ، سليمة غير متشققة ، تغلب الحمرة على حبها** ٠٠٠ فاجتهد فلاحيو الأندلس في تلبية هذا المطلب ، مستندين الى كتب الأوائل ومعولين على تجاربهم ، هم أنفسـهم ، المستمـرة ، في بسـاتين البادية الأندلسية وحدائق مدنهم الفيحاء ٠

فابن العوام رأى أن « مما **يزيد في قـدر[ثمره]** أن يجعل ـ مع قضبانه اذا غرست وحبه اذا (زرع) ـ من **الباقلاء المدقوق بقشوره** قدر كف ، أو يؤخـذ حب الحمص فيـدق ويبل باللبن الحليب ؛ ثم يجعل في الحفرة مع حبه ، أو مع أغصانه المغروسة »(٧٧) ٠ وبعد مئتي سنة ، يقدم صاحب « مفتاح الراحـة » العلاج ذاته ، مبتدئاً بقوله : « وان أردت أن ينبل في القدر ، فاجعل معه ـ ان زرعتـه أو غرسته ـ الباقـلاء المدقوق مع قشـوره ٠٠٠ الخ »(٧٨) ٠

وذهب القدماء ، في معالجة **تشقق الرمان**ـ وقد بدوا معنيين بذلك على نحو ما ـ الى أن **زراعـة الرمـان « منكوسـاً » يمنع مـن تشـققه !**

بدأ ذلك عند قسطوس البعلبكي : « وأما ما يعمل للرمان فيمنعه من التشقق ، فهـو أن (٠٠٠) تغرس حين تغرس **منكسة** ، بجعل فروعها في ما توارى من الأرض منها ، فـان رمان هذا الغرس (٠٠٠) لا يتشقق ! »(٧٩) ٠

ثم جاء ابن العوام ، فقال : « تغرس أو تاده **منكسة**(٨٠) ، وملوخه (٠٠٠) قيل : ان ما غرس كذلك منها لا يتشقق قشره ! »(٨١) . وقال أيضاً : « اذا غرس عند أصولها **بصـل العنصل** نفعها ، ولم يتشقق ثمرها (٠٠٠) ؛ وقيل : ان جعل حول أصلها ، تحت الأرض ، **حجـارة** لم يتشـقق ثمـرهـا وقيـل : ان خفت على شجر الرمان أن يتشقق قشره ، فاكشف التراب عن أصله ، واسقه بماء قـد خلط **برماد الحمّام** »(٨٢) ٠

ويقول صاحب « مفتاح الراحة » : « وقالوا : متى غـرس قضيب رمان **منكوسـاً** ، لم يتشقق قشره أبداً ! »(٨٣) ٠

ويقدم ابن حجاج الاشبيلي علاجات ثلاثة :

١ ـ « ان أردت **ألا ينشق** [الرمان]، فاغرس معه **بصلة عنصل** » ٠

٢ ـ « اذا تشقق الرمان ، فغطّ أصله، واسقه ماء قد خلط به **رماد الحمّامات** » ٠

٣ ـ « ومتى غرسـت قضيب الرمـان **مقلوباً** (!) لم يتشقق قشره أبداً »(٨٤) ٠

وأما في **حمرة حب الرمان** ، فان قسطوس البعلبكي يخاطبك ، بمودة ملحوظة ، مقتبساً مقولته من « سوبيوس العالم » ·· يقول :

« اذا سرّك أن تشتد حمرة الرمان ، فاعمد الى **رماد حمّام** ، واخلطه بالماء ، واضربه ضرباً شديداً ، ثم بلّ بذلك أصل شجرة الرمان ؛ وتعاهده بذلك ما استطعت ، فانه يشتد بذلك حمرة رمان الشجرة ··· »(٨٥) ·

ويأخذ صاحب « مفتاح الراحة » بهذا العلاج ، ويزيد عليه :

و « من أراد أن تشتد حمرته ، فيجمع من **رماد أغصانه وورقه** مقداراً ، أو يضيف له شيئاً من رماد الحمام ، ويزبل بهما ، ويتعاهد بالماء لئلا تحرقه الأرمدة ؛ وكذلك ان كشف عن عروقها ، وغطاها ببعر الغنم ، فان حبها يحمر »(٨٦) ·

١٣ ـ كيف يصير الحامض حلواً :

وتوخياً لعذوبة الطعم ، أحب الأندلسيون أن يكون طعم رمانهم حلواً ، فاجتهد علماؤهم وفلاحيوهم في تحقيق هذه **الغاية الحلوة !**

وقبل الأندلسيين ، نصح قسطوس بن لوقا ـ كي يصير الرمان الحامض حلواً ـ أن « يحفر عن أصل الرمان حتى تبدو عروقه ، ثم يطلى بشَلْط خنزير ، ثم يعلى على ذلك بشيء من تراب ، ثم ينضح بأبوال الأنس ؛ فانه ، اذا فعل ذلك ، احلولى ذلك الرمان وذهبت عنه حموضته ! »(٨٧) ·

وبعده ، تبنّى ابن حجاج علاجاً لأحد القدماء :

« **اثقب في الأصل** ، واجعل فيه **عود أداذين** · وألق في أصلها زبل الخنازير ، واسقه بول الناس ، فانه يحلّي الحامض · وان أخذت منقاراً ، فنقبت به أصل الرمانة ، وضربت في الثقب عود أداذين سمين بقدره حتى يملأه ، وتطمره وتسقيه بولا حتى يخرج عيوناً ، فان حبها يصير حلواً ، ان شاء الله »(٨٨) ·

ثم يجيئنا ابن العوام بعلاج **عسلي** ، فريد في نوعه ··· يقول :

« وان طلي ، من **أسافل القضبان** التي تغرس ، مقدار أربع أصابع ، **بالعسل** الجيد ، ويصب على **الحب المغروس عسل** ، فان الرمان يخرج حلواً ، **[و] بلا نوى** ! »(٨٩) ·

وبعدهم ، ارتاح صاحب « مفتاح الراحة » الى القول :

« ان من أراد أن يصير الرمان الحامض حلواً ، فليكشف عن أصول شجرة الرمان الحامض ، ويشقها ، ويدخل في كل عرق منها **عوداً من أرز** ، ثم يربطه ببردي ويطمر عليه التراب ، ويزبله ببول انسان عتيق ! » (٩٠) ·

١٤ـ أن يكـون حب الرمـان بلا نـوى :

وتطلعوا ، كذلك ، الى **رمان يخلو مـن العَجَم ، أو النوى**(٩١) ، فتوقف بعضهم عند ذلك وأطالوا الوقوف !

في البدء ، اجتهد **قسطوس البعلبكي** ، في بلاد الشام ، أن **تذهب الصلابة** من حبِّـه ، دون أن يتجاوز ذلك الى **انعـدام نواه** ٠٠٠قـال :

« وأما ما يُعمل لذهاب الصلابة من حب الرمـان ، فهـو أن يعمـد الى قضيب غرس الرمان ، فيشق من أصله مقدار ذراع نصفين؛ ثم **يـزال لُبـاب** النصفين جميعاً مـن غير أن يُنهكا ؛ ثم يعصبان ببردية ، ويطليان بطـين حر وروث مـن أرواث الدواب ؛ ويجعـل في حفرته ، التي يغرس فيهـا ، بقدر ما يظهر فـوق الأرض ، من ذلك الشق ، ثلاثة أصابع مضمومة ٠

« ويقرّ ذلك القضيب من غرس الرمان حتى يعلق ، وتنبت عروقه بعض النبات ؛ ثم يقطع ما فوق الشق منـه ، ويطرح في طين ، ويسقى ، حتى تنبت فروعه المرة الثانية ٠

« فانه يطعم ؛ ويكون رمانه لا يطرَح آكلُـه منـه شيئاً »(٩٢) ٠

وبعد زمن البعلبكي بنحو مئتي سنة ، يتطلـع **ابن حجـاج الاشبيلي** الى أن يجيء الرمان وقد **انعدم فيـه النوى** ٠٠٠ يقول :

« ان أردته **بلا عَجَم** ، فشقّ مـن أصل القضيب قدر أربعة أصابع ، **وأخرج لُبابه** ، ولف عليـه شيئاً ، واغرسه ، فانـه يلتحم ويستمسك ولا يكون لحب رمانه عَجَم ! » ٠

ثم يحدثنا عن معالجة أخرى لأحد القدماء (هو أنطوليوس) : « من أراد أن يصـير الرمان **بلا عَجَم** ، فليشق القلب الذي يكون في الأرض ، ويجعل فيه **عصارة مُرّ** ويربطه بالشمع ، ويلفه ببصـل الفـأر ، ثم يطمره ويسقيه بماء حـار ٠ وان صنع ذلك بقضيب النصب صار كذلك »(٩٣) ٠

وشاطر ابن حجاج الاشبيلي ، في تطلعه، أندلسي آخر هو **الحاج الغرناطي** ٠ قال :

ان « الرمان ، اذا غرس ، ودفع باللقح، وأتى عليـه عام ، فيشق القضيب المغروس برفق حتى يصل الى اللب ـ الذي يعرفه عامّة الفلاحين بالمخ ـ وهو شبيه حَشيّة القطيفة البالية ، فيستخرج منه اللب بأسره ؛ ويدس في موضع اللب **عود من شجر الطَرفاء ، أو من شجر الصفصاف** ثم يشد (عليه رباط٠٠٠) ،ويترك عليه [مـدة] عام ٠

« فاذا كان بعد عام ، تُفتقّد ذلك الشق: فان وجد قد التحم ، حُـلّ عنه الرباط ، والا تُرك عليـه ٠ فاذا أثمر بالرمان كـان **بلا نـوى !** »(٩٤) ٠

ثم يورد علاجاً آخر ممن سماه « الغليوس الرومي » ، قال :

ان أحدهم اذا « شق قضيب الرمان حين الغراسة ، فأخرج منه لبّه ، ووضع مكان اللب عصارة الرمان ، وربط القضيب بالخرق ، ولف عليه بصل الفأر ، وكبسه ، وواظب [على] سقيه بالماء الحار ، أتاه حب الرمان من ذاك الأصل **بلا نوى !** »(٩٥) .

ويوجز القول في ذلك ، بعد ثلاثمئة سنة آخرى ، **مفتاح الراحة** ، الذي يقول بثقة واضحة :

« من أراد الرمان بلا عَجَم ، فليأخذ القضيب حين يريد غرسه ، ويشقه مما يلي الأرض ، **ويُخرج البياض الذي داخله** ، ثم يلف عليه البرديّ ، ويدفن ما شق مع العُنصل ، فانه يكون **بلا عَجَم !** »(٩٦) .

١٥ـ صيانة ثمره :

وكان لا بد من أن يتعرفوا ، من وسائل الصيانة والحماية ، ما يقي هذه الفاكهة من أن تمتد اليها يد التلف والفساد ، مع ما متعت به من حماية ربانية وهي طيّ هذه « **الصدفة المملوءة جوهراً !** » ، كما وصف ذلك الشاعر الأندلسي !

ولصيانة الرمان ـ الذي أوصى ابن العوام بأن « **يجمع حبه في النصف من أكتوبر [تشرين الأول]** »(٩٧) ـ ينصح **قسطوس بن لوقا** بأن يجنى ، عند بلوغ ابّانه ، « **برفق** ، لئلا ينفسخ » ، ثم نراه يُعدّد ـ ولم أجد أحداً بعده ، في علمي ، نحا نحوه ـ طرقاً خمساً يصان بها الرمان :

١ ـ أن « يغمس طرفاه ، أعلاه وأسفله (يعني كل رمانة منه) ، في **قار مذاب** ، ويعلق ، فانه يطول بقاؤه » .

٢ ـ أن يُعمد اليه ، اذا بلغ ابّانه ، فيقرّ على حمله ، ويلف على كل رمانة منها **ما يسترها من الحشيش** ، ثم يعصب عليها ، وتطلى بجص ، فانها تبقى بذلك غضّة الى أن يدركها زمان قابل » .

٣ ـ « وربّ مَن يضع الرمان في **نشارة خشب البلوط** ، ويخلط بتلك النشارة شيئاً من السِّهلة(٩٨) ، فانه يطول بقاء ذلك الرمان » .

٤ ـ « وربّ من يغمس الرمان ، حين يُجتنى ، في **ماء الملح** ، ثم يجفف في الشمس ، ويعلق ، فاذا بدا لأصحابه أكلُه غسلوا [الملح] عن قشره بالماء ، ثم أكلوه » .

٥ ـ « وربَّ من يجعل الرمانة في كوز من خزف ، **ويُجصِّص ذلك الكوز** ، ويرفعه في مكان جاف لا نداوة فيه ، فانها لا تزال لذلك غضَّة »(٩٩) ٠

ونحسب أن المبعوث الأندلسي ، **القاضي معاوية بن صالح** ، العائد من الشام ، قد قدَّم الى الأمير عبدالرحمن ، في قصر الرصافة بقرطبة ، الرمان ، هدية أخيَّته أم الأصبغ ، **مغمَّسَ الطرفين في القار** ، الطريقة الأولى المتاحة لقاطع البراري والقفار ، في ذلك الزمان البعيد !

★ ★ ★

وبعد ٠

فذلك هو **فن فِلاحة** الرمان ، في الأندلس التي كانت ٠

وليس يعني هذا أنه هو فن فلاحته **اليوم** ، فالعلم في تطور مستمر ٠٠٠ ولعل ما في هذه « المعلومات » من وجوه الصواب يفوق ما فيها من الخطأ والأوهام !

وانما تُستبان الحقيقة **بالتجربة والاختبار** ٠

وذلك من مهام علماء اليوم ، المعنيين بالزراعة تخصُّصاً ، أولئك الذين قدَّروا ما خلَّفه لهم الأجداد من التراث ، فأحبوا أن يمخضوه ، ليروا ما فيه من الحقيقة العلمية فيأخذوا بها ، ويدعوا ما سوى ذلك زَبَداً يذهب جُفاء ٠

وتلك هي سنَّة الطبيعة (١٠٠) ٠

دمشق : ١٩٨٩/٩/٩

فاضل السباعي

الحواشـــي :

١ ـ الخشني : قضاة قرطبة ، الدار المصرية للتاليف والترجمة بالقاهرة ١٩٦٦ ، ص ١٦ و ١٧ ٠

٢ ـ يعني الخليفة الأموي ، الشامي ، هشام بن عبد الملـك(حكمـه : ١٠٥ ـ ١٢٥ هـ) ، الذي جـدد بنـاء الرصافـة القريبة من الرقة ، وجعلها مصيفا له ٠ وفي الرصافـة نشا حفيده عبد الرحمن بن معاوية بن الخليفة هشام ٠٠٠

٣ ـ رينه : منطقة في قبلي قرطبة ، نزلهـا جند الأردن مـن العرب ٠ وهي كثيرة الخيرات ٠

٤ ـ منية الرصافة (أو رصافة قرطبة) : اسم للقصر الذي ابتناه عبد الرحمن الداخل ، في الشمال الغربي من قرطبة ، والجنات (مفردها جنة ، وفي المشرق يصغرون : جنينة ، جنائن !) هي الحدائق ٠

٥ ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (المقري ، نقـلا عن ابن حيان) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ببيروت ١٩٦٨ ، ١ : ٤٦٨ و ٤٦٧ ٠

٦ ـ الأسدي م ٠ خير الدين : موسوعة حلب المقارنة ، منشورات جامعة حلب ، المجلد الرابع (١٩٨٤) : ١٩١ ٠ ويضيف أن من اعتقادات أهل حلب أن من ياكل رمانة بكاملها ، دون أن تنفرط منه في ذلك حبة ، قدر له أن ياكـل رمانة في الجنة ! (البياكل رمانة منا ليها [منها إليها !]وما بفرفط ولا حبة واحدة ، بياكل رمانة بالجنة) ٠

٧ ـ نزهة الأنام في محاسن الشام (لأبي البقاء البدري المصري الدمشقي ، نقـلا عن الدينـوري) ، القاهـرة ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) : ٢١٤ ٠

٨ ـ نفسه : ٢١٤ ٠

٩ ـ الدرهم : وحدة للوزن قديمة ، تعادل نحو ثلاثة غرامات ٠والرها : مدينة ، رومية الأصل ، في منطقة الجزيرة بين حلب والموصـل

١٠ـ موسوعة حلب المقارنة ٤ : ١٩١ (نقلا عن : نهر الذهب في تاريخ حلب ١ : ١٢٩) ٠

١١ـ ديوان الأمير أبي فراس الحمداني ، تحقيق الدكتور محمد التونجي ، من منشـورات المستشاريـة الثقافيـة للجمهوريـة الاسلامية الايرانية بدمشق ١٩٨٧ ، ص ١١٦ و ١٧ ٠

١٢ـ نفح الطيب ١ : ٤٦٨ ٠

١٣ـ ترجمة المؤلف في الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الثقافة ببيروت ١٩٧٥، القسم ١ : ٢ : ٨٠٥ ـ ٨٠٨ ، والاحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٧٤ ، ٢ : ٢٨٢ ـ ٨٤ ٠

١٤ـ ويرى الباحث الدكتور محمد عيسى صالحية « أن النص المنشور لكتاب الفلاحـة لأبي الخـير الاشبيلي انمـا هو نص منتحل » ، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد التاسع والخمسون ، الجزء الثالث ، تموز ١٩٨٤ ٠ وأعلن هـذا الرأي ، قبله ، محققا كتاب المقنع في الفلاحة (أعلاه): المقدمة صفحة : ٥ ٠

١٥ـ الدكتور أمين توفيق الطيبي : « كتب الفلاحة الأندلسية :أرجوزة ابن ليون التجيبي في الفلاحـة » ، مجلة كلية الدعـوة الاسلامية (ليبيا) ، العدد السادس ١٩٨٩ ، ص ص٣٥٤ ـ ٦٦ ٠

١٦ـ ما أتيح لي الاطلاع عليه ، من هذه المصادر المطبوعة ،هو : المقنع لابن حجاج ، والفلاحـة لابن العوام ، وحديقـة الأزهار للغساني الوزير ، فضلا عن مخطوطة زهر البستان للطغنري الغرناطي ٠

وعبثا حاولت الاطلاع على فلاحة ابن بصال المطبـوع ،وفي دمشق منه ـ كما أعـلم ـ نسختان : في المكتبة المركزيـة لجامعة دمشق ، وفي المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية ٠

١٧ـ اطلعت منها على الكتابين الأخيرين ٠

١٨ـ معجم الشهابي لمصطلحات العلوم الزراعية (انكليزي ـ عربي) ، اعداد أحمد شفيق الخطيب ، مكتبة لبنان ببيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ ، مادة Agriculture .

١٩ـ أرى من المستحسن أن أورد ، هنا ، ذلك الوصف الدقيق الذي أتى به قسطوس بن لوقا في كتابه حول هذه العملية الطريفة ، وقد سماها الغرس المضاعف القوة ... قال :

« وقد يغرس الرمان الغرس المضاعف القوة ، وذلك بان يعمد الى ساق شجرة الرمان ، فيربط فيه (حبل متين) ، ويجذب بذلك الحبل حتى ينحني ، ثم يربط ذلك الحبل في وتد « في الأرض » لئلا ترجع الشجرة الى اعتدالها ، ثم يعمد الى أقرب غصونها من الأرض (فيجذب) جذبا رفيقا لئلا ينكسر أو ينفسخ ، حتى يضع وسط ذلك الغصن أو دون وسطه في الأرض .

« ثم يحفر لذلك الغصن ، حيث لاقى من الأرض ، حفرة مستطيلة عمقها في الأرض ذراع ، فيدفن وسط ذلك الغصن في تلك الحفرة ، ويترك طرفه ظاهرا على وجه الأرض ، ثم يسقى ما كان منه في الأرض ، حتى يعلق وينبت .
« فاذا علق ونبت ، قطع ما يلي ساق تلك الشجرة ، المشدودة بالحبل الى الوتد من ذلك الغصن ، وحل عنها الحبل ، (فترتد) الى اعتدالها الذي كانت عليه ، فانها تعود اليه ، ولا يضرها قطع الغصن المقطوع منها .
« فاذا تكامل هذا الغرس ، حول الى الموضع الذي يراد قراره فيه ... فانه يجيء ناجبا في الغاية ، حسن الثمرة ! » .
الفلاحة اليونانية : ٨٨ .

٢٠ـ نفح الطيب ١ : ٤٦٨ .
٢١ـ المقنع في الفلاحة ، لابن حجاج : ٣٨ .
٢٢ـ مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، لمجهول ، ص ١٦٨ (نقلا عن ابن بصال) .
٢٣ـ الحاج الغرناطي : زهر البستان ونزهة الأذهان (مخطوط) : لوحة ٤٧ ب ولوحة ٤٨ آ . وسوف نصطلح على تسمية كتابه بـ « فلاحة الغرناطي » .

٢٤ـ ابن العوام : الفلاحة في الأرضين : ٢٧٧ .
وكان ابن وحشية في المشرق ، قد قال : والرمان « يصلح في كل أرض يابسة قليلة الماء ، ولا يصلح في الأرض الباردة »، مفتاح الراحة : ١٦٨ .
وفي عصره (الثالث الهجري) ، قال قسطوس بن لوقا البعلبكي :
ان « أجود مواضع غرس الرمان المواضع الدفيئة الجافة السليمة من كثرة الأنداء ، فان شجرة الرمان يضرها البرد الشديد اضرارا كبيرا ... « وأضاف » فاذا علق غرس الرمان وطلع ، كان غطاؤه ، في البلاد الباردة في فصل الشتاء ، ورق القرع وقضبانه ، فان ذلك يدفع عنه مضرة البرد ، ويتعاماه الطير لذلك » .

الفلاحة اليونانية : ٨٧ و ٨٨ .

٢٤ م ـ حدثني الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي ، بعد اطلاعه على مسودة البحث، أن علم الزراعة الحديث أبان أن أزهار الرمان خنثوية كبقية أصناف الفصيلة الآسية ، مع ملاحظة أن القدماء كانوا يعنون بما سموه الرمان الذكر قصد الاستفادة من زهره ، الجلنار ، في المعالجة الطبية .

٢٥ـ أبو القاسم الغساني : حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار : ٧١ .
٢٦ـ حديقة الغساني : ٢٥٣ .

والمز : ما كان طعمه بين الحلو والحامض ، أو خليطا منهما ، وهو ، في عامي الشام : اللفان !
قلت : والعظمي ربما سمي كذلك لكبر مقدار النواة في حبه ، وذلك عيب عمل الفلاحيون القدماء على معالجته (كما يرد أدناه) .

٢٧ـ فلاحة ابن العوام : ٢٧٣ و ٧٤ .
ويلاحظ في النص تحريف في الألفاظ واضطراب في الرواية.

وشبيه بذلك ما وقفت عليه في نص الحاج الغرناطي ،المخطوط : فالرمان ـ الهدية ، أرسل الى عبد الرحمن من أخته في بغداد ، واسم عامله في كورة ريه : جعفر ، فلما وصل اليه الرمان « أخذ حبه ، وغرسه واهتبل به « اقراها : واحتفل به ! » حتى أثمر ، ثم دخل على « الأمير » بثمره ،فاستغربه وأعجب به ، وأمر باتخاذه ، ففرس ، وسماه باسم الغارس له ، فقيل له : الجعفري ! » ، لوحة ٤٧ ب ٠

وقد بينت ، أعلاه ، أن في رواية المقري (التي نقلها عن ابن حيان الأندلسي) أن الرمان السفري المشهور منسوب الى سفر الكلاعي ٠

ولكن للباحث المعاصر الدكتور محمد نذير سنكري (الأستاذ في كلية الزراعة بجامعة حلب ، وكيل معهد التراث العلمي بالجامعة أخيرا) ، مذهبا آخر في هذه التسمية :أن النسبة هنا هي الى بلدة « السفيرة التي تقع الى الجنوب الشرقي من حلب » غير بعيد عن رصافة هشام ٠

انظر : الابداع الزراعي في بدايات العالم الاسلامي ،تاليف الدكتور أندريو واطسون ، نقله الى العربية الدكتور أحمد الأشقر ، وراجعه وعلق عليه الدكتور محمد نذير سنكري ، منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ١٩٨٥ ، تعليق المراجع في الصفحة ١٩٢ ٠

٢٨ـ المقنع لابن حجاج : ٤٠ ٠

٢٩ـ فلاحة ابن العوام : ٢٨٠ و ٨١ ٠
ويقال : ألقحت الشجرة : أنبتت الفروع ٠

٣٠ـ ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، طبعة بولاق ١٢٩١ هـ (١٨٧٥ م) ، ١ : ١٦٤ ، وتصحيح اللفظ ، ومقابله اليوناني ، من ابراهيم بن مراد : المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية ، دار الغرب الاسلامي ١٩٨٥ ، ٢ : ٣١٣ ٠

٣٠ م ـ مفتاح الراحة : ١٦٩ ٠

ورعث الرمان : زهره (الجلنار) ٠ وبدا أن محققي المفتاح قد ذهبا في تفسير الكلمة بعيدا : « الرعث : كل معلاق كالقرط ونحوه فهو رعاث ٠ والمقصود أن يكون حمله متدليا كثيفا » ! (الحاشية ١) ، وغاب عنهما أن رعث الرمان هو جلناره ٠
وقد تبينا ، أعلاه ، أن بعض أشجار الرمان يكون ، في التعريف العلمي الحديث ، عقيما بسبب اختزال المبيض فيه٠ هذا العقيم هو ما أطلق عليه أجدادنا الرمان الذكر ،وسموه باسم زهره : الجلنار !

٣١ـ فلاحة الغرناطي : ٤٨ أ ٠
وتحويض الأرض ، فيما يبدو ، تقسيمها الى أحواض ،أو مشاتل ، والى حد ما مساكب ٠
ويقول قسطوس بن لوقا : « ولا يستغني غرس الرمان أن يكون معه في حفرته التي يغرس فيها بعض الدواء الذي يسمى الاسكيل » ، فلاحة البعلبكي : ٨٧ و ٨٨ ٠

٣٢ـ فلاحة ابن حجاج الاشبيلي : ٣٩ ٠
ويؤكد قسطوس بن لوقا البعلبكي أن « غرس الشجركله يغرس قبل تصوره « ربما : تنوره ، أي تفتح أزهاره ! » غير شجر الرمان ، فان له خاصية : لا يغرس الا بعد تصوره » ، الفلاحة اليونانية : ٨٧ ٠
وقد نقل ابن العوام الاشبيلي عن ابن لوقا هذا المعنى على نحو ما : « ان غروس جميع الأشجار لا ينبغي أن تنقل الى مواضع غرسها الا قبل الفتاح « ربما : انفتاح ! » أعينها عن الأوراق ، الا الرمان ، فانه يغرس بعد الفتح ، فان له في ذلك خاصة طبيعية » ، الفلاحة في الأرضين ١ : ٢٧٤ ٠

٣٣ـ مفتاح الراحة : ١٦٨ (نقلا عن ابن وحشية) ٠
ونقل ابن العوام عن أحد قدماء اليونانيين قوله :« يمضغ طرف القضيب ، الذي يغرس (من الرمان) قبل غرسه ، فيحمل مثل حمله الأصلي » ، فلاحة ابن العوام١ : ٢٧٦ ٠

٣٤ـ فلاحة الغرناطي : ٤٨ آ ٠
ويلاحـــظ الحـاج الغرناطي أن معاصـره ابن بصـال الطليطلي قال بأن تغرس ثلاثة أوتاد معا في الحفيرة الواحدة ، ويعلق على ذلك بقوله : « ولم يذكر هذا من أهل الفلاحة أحد سواه ، وانما أراد بذلك أن يكثر شجرها في منبته ملتفـا « وينصح » فمن شاء غرس أوتاد الرمان وتدا وتدا ،فاذا انبعث باللقح ترك في كل وتد من ذلك اللقح خمسة فروع أو ستة ، وقرّب مسافة ما بين الأوتاد ، فيكون الشجـر ملتفا » ، فلاحة الغرناطي : ٤٨ آ ٠

٣٥ـ فراغ ، في الأصل ، بمقدار كلمة ، تليه أخرى غـير مقروءة !

٣٦ـ فلاحة الغرناطي : ٤٨ آ ٠
والأبواع ، مفردهـا باع : مسافـة ما بين الكفـين اذاانبسطت الذراعان يمينا وشمالا ٠

٣٧ـ فلاحة ابن العوام ١ : ٢٧٧ ٠

٣٨ـ نفسه : ٦١٩ ٠
وقبله ، بثلاثمئة عام ، رأى قسطوس بن لوقا خلاف رأيه : « وأجود غروس (الرمان) ما غرس من قضبانه وأوتاده » ، فلاحة البعبكي : ٨٧ ٠

٣٩ـ سيسميه : المنكس ، والمنكوس ، أي الغصن الذي تـم ثنيه ، أو حنيـه ، من الأغصـان ، ودفن في حفيرته من تلـك الخطـوط ٠

٤٠ـ فلاحة الغرناطي : ٤٨ ب و ٤٩ آ ٠
وقد قدمنا ، أعلاه ، وصفا جيدا للعكس (التكبيس ،التدريخ) ، نقلناه عن قسطوس بن لوقا ، وقد سماه : الغرس المضاعف القوة (الحاشية : ١٩) ٠
ويقال : نقش الشوكة بالمنقاش ، أي بحث عنها واستخرجها ، فالنقش ، هنا ، بمعنى التنقية أيضا ٠

٤١ـ فلاحة الغرناطي : ٤٨ آ و ٤٨ ب ٠

٤٢ـ فلاحة ابن العوام ١ : ٢٧٨ ٠

٤٣ـ فلاحة الغرناطي : ٤٩ آ ٠

٤٤ـ فلاحة ابن العوام ١ : ٢٧٧ و ٧٨ ٠

٤٥ـ فلاحة ابن العوام ١ : ٢٧٨ ٠

٤٦ـ نفسه ١ : ٢٧٨ و ٧٦ ٠

٤٧ـ نفسه ١ : ٢٧٥ ٠

٤٨ـ نفسه ١ : ٢٧٨ ٠
والحرز ، لغة : كل ما يحرز ٠ ولعله يقصد بنقل النبتة، بحرزة من ترابها » : بما علق بها منه ٠

٤٩ـ فلاحة بن العوام ١ : ٢٧٨ ٠

٥٠ـ أردنا بالخصائص (خصيصة) : الصفات التي تميز هذه الشجرة عن غيرها من الأشجار ، وبالخواص (خاصة) نقترب من ذلك المعنى ، الذي أضفـاه القدماء على الكلمـة ،فجعلوا منها مصطلحا طبيا ، فقالوا : خواص العقاقير : قواها التي تؤثر في الأجسام !

٥١ـ فلاحة الغرناطي : ٤٨ آ ٠

٥٢ـ في مفتاح الراحة : « فليدفن (صاحبها) ، مع القضبان ،شيئا من حجارة البحر » ، ص ١٦٩ ٠

٥٣ـ المقنع لابن حجاج : ٣٩ ٠
وبصل الفار (العنصل ، بصل البر ، الاشقيل وهذه معربة قديما من اليونانية Scella) : جنس زهر من الفصيلـة الزنبقية ٠ وسمي ببصل الفار ، لأنه يقتله اذا أكله !وسوف يرد ، أدناه ، باسم العنصل أيضا ٠
وقد أشار اليه مترجم فلاحة البعلبكي ، غير مرة ، باسم: الاسكيل (أعلاه ، في تحضير الحفيرة ، وأدناه ، في معالجـة تشقق الرمان) ٠

٥٤ـ مفتاح الراحة : ١٦٨ و ٦٩ ٠
وشمر الشيء : قلصه ، فكأن المعنى ينحو الى النهـيعن الكسح والتقليم ٠ يؤيد ذلك : ترك الأغصان شعثة ، أي : منتشرة متفرقة ٠

٥٥ـ فلاحة ابن العوام ، ١ : ٢٧٦ ٠
٥٦ـ نفسه ١ : ٢٧٩ ٠
٥٧ـ فلاحة البعلبكي : ٨٨ ٠
٥٨ـ فلاحة ابن العوام ١ : ٢٧٦ و ٧٧ ٠
٥٩ـ نفسه ١ : ٢٧٧ ٠
٦٠ـ المقنع لابن حجاج : ٣٨ و ٣٩ ، وفلاحة ابن العوام ١ : ٢٧٥ ٠

٦١ـ مجلة كلية الدعوة الاسلامية (ليبيا) ، العدد السادس١٩٨٩ ، ص ٣٦٣ (مرجع سبقت الاشارة اليه) ٠
٦٢ـ ديمقراطيس (أو ذيمقراطيس بالمعجمة) : فيلسوف عالمبوناني ، نسب اليه كتاب في الفلاحة ٠ وفي « صوان الحكمة »: أنه والطبيب الفاضل بقـراط كانا « في زمن واحـد (منتخب صـوان الحكمـة ، للسجستاني ، تحقيـق الدكتـور عبد الرحمن بدوي ، طهران ١٩٧٤ ، ص ٢٠٣) ، وبقراط توفي ، على الأرجح ، سنة ٣٥٧ ق٠م ٠

٦٣ـ فلاحة البعلبكي : ٨٩ ٠
والغرب : نوع من شجر الحور أو الصفصاف ٠
والأترج (والترنج) : نوع من الحمضيات ، من الفصيلةالبرتقالية ٠ ثمره كبير ، أصفـر ، لا يؤكل ، بل يصنع منـه مربى ٠ وهو ما يسمى في الشام : الكباد ٠

٦٤ـ المقنع لابن حجاج : ٣٩ ٠
٦٥ـ مفتاح الراحة : ١٧٠ ٠
٦٦ـ المقنع لابن حجاج : ٣٩ ٠
٦٧ـ اقرأها : تنورها !

٦٨ـ فلاحة البعلبكي : ٨٨ ٠
والبقلة الحمقاء (واسمها العلمي Portulaca) : بقلة سنوية عشبية لحميـة ، تزرع ، ولها بزور دقـاق ، كثيرا ما تنبت في الزروع عفوا ، يؤكل ورقها مطبوخا أوعلى شكل « سلطة » ٠
ويذكر الطبيب مدين القوصـوني المصري أنهـا وصفتبالحمق « لأنها تنبت في مجرى السيل فيقلعها ، وفي الطرقـات فتداس ، وتوصف ، أيضا بالبقلة المباركة لكثرة منافعها» ، قاموس الأطبا وناموس الألبا ، من مصورات مجمع اللغـة العربية بدمشق ١٩٧٩ ، ١ : ٢٩٧ ٠

٦٩ـ فلاحة الغرناطي : ٤٨ ب ٠
وبدا أن ابن العوام يوافقه : وقيل ان غرست أوتـادالرمان متكمية « اقرأها : منكسة ! » ، فانه « يمسك شيء من حمله ، ويتساقط ، ولا ينجح فيه علاج ! » ، ١ : ٢٧٨ و ٧٩ ٠
ونحرص على أن نشير الى ما في أقوال الفلاحيين ، هنا من تناقض في مسألة الوتد أو القضيب المنكوس :
فعلى حين يرى ابن حجاج ، أعلاه ، أن نصب القضيبمنكوسا يكثر من حمله ، فانا نجد ذلك ـ عند الغرناطي وابن العوام ـ مدعاة لسقوط الحمل ، الذي « لا ينفع فيه علاج » !
وسوف يصادفنا ، عما قريب ، تناقض آخر عند ابن العوام(وقبله عند ابن لوقا البعلبكي) ، اللذين رأيا ، في الغـرس المنكس ، منجاة لثمر الرمان من أن يتشقق !

٧٠ـ الطرفاء : جنس نبات للتزيين ، من الفصيلة الطرفاوية ،أغصانها رفيعة دقيقة ، وأزهارها عناقيـد ريشية أرجوانية ٠ اسمها العلمي Tamarix .

وقول الحاج الغرناطي بعيونها ، أي ببراعمها !

٧١ـ في الأصل : أخذ !
٧٢ـ كلمتان غير مقروءتين ٠
٧٣ـ أو : يوضع !
٧٤ـ اقرأها : كشف ، عن أصول الرمان ، ما عليها من التراب ٠
٧٥ـ فلاحة الغرناطي : ٤٨ ب ٠

٧٦ـ مفتاح مفتاح الراحة : ١٦٩ ٠
ونثرت الشجرة حملها : رمت به متفرقا ٠
والقصل (م قصلة) : الرخو من الشجر (أو النبات) ،والقصيل : ما اقتطع من الزرع أخضر لعلف الدواب ٠

٧٧ـ فلاحة ابن العوام ١ : ٢٧٦ ٠
والباقلاء (أو الباقلى ، أو الفول ، والاسم العلمي(Faba vulgaris) هو النبات المعروف ، تؤكل عروقه الخضر المطبوقة ، وكذلك حبوبه ٠
٧٨ـ مفتاح الراحة : ١٦٩ ٠

٧٩ـ فلاحة البعلبكي : ٨٨ ٠
وقدم على ذلك علاجين آخرين : « أن يعمد الى قضبان غرس الرمان ، ويخفف حولها ـ مما يواري أصلها من الأرض ـ بالحجارة (أي : تحاط بها) ، أو يزرع في أصلها الدواء الذي يسمى الاسكيل ٠٠٠ » ٠

٨٠ـ وقد جاءت ، في النص ، متكمية ، كما أسلفنا !
هذا الى أنه ورد في موضع آخر من كتابه : وشجرة الرمان ، ان غرست وقضبانها منكسة ، « لم يتشقق ثمرها » ، ١ : ٦١٩ ٠
٨١ـ فلاحة ابن العوام ١ : ٢٧٨ ٠
٨٢ـ نفسه ١ : ٦١٩ ٠
وقد بينا أعلاه (الحاشية : ٥٣) أن بصل العنصل هو بصل الفار ، والاشقيل ، والاسكيل أيضا !

٨٣ـ مفتاح الراحة : ١٦٩ ٠
٨٤ـ المقنع لابن حجاج : ٣٨ و ٣٩ ٠
ولعله : مثقوبا ! فان عند ابن حجاج الاشبيلي أن يثقب اصل شجرة الرمان ، ليصير حبها حلوا ! (كما يجيء أدناه) ٠

٨٥ـ فلاحة البعلبكي : ٨٨ ٠
٨٦ـ مفتاح الراحة : ١٦٩ ٠
٨٧ـ فلاحة البعلبكي : ٨٩ ٠
وفي القاموس المحيط : الثلط : رقيق سلح الفيل ونحوه٠

٨٨ـ المقنع لابن حجاج : ٣٩ ٠
والداذين هو خشب الأرز ، وهو كلام رومي ، كما علق محققا كتاب « المقنع » (نقلا عن كتاب « النبات » للدينوري)٠

٨٩ـ فلاحة ابن العوام ١ : ٢٧٦ ٠
٩٠ـ مفتاح الراحة : ١٦٩ ٠
٩١ـ وهذا يعني أنه لو أتى حين من الدهر انقرض فيه شجر الرمان ، فلن يكون من سبيل الى معاودة استزراعه من ثماره المتبقية التي لا نوى لها !!
٩٢ـ فلاحة البعلبكي : ٨٩ ٠
والبردية (واحد البردي) : نبات مائي ، يقول الشهابي في معجمه ، أنه « يوجد منه في مناقع بحيرة الحولة ، كانوا يصنعون ورق البردي من لحائه » ٠
والطين الحر : نوع من الطين ، خالص من الرمل والحجارة٠

٩٣ـ المقنع لابن حجاج : ٣٩ ٠

والمر ، والمر الحجازي (والاسم العلمي Commiphora myrrha) : نوعان لشجر من الفصيلة البخورية ، يخرج ساقه صمغا راتينجيا ، يسمى المر أيضا ، هو من العقاقير الطبية التي استعملها العرب قديما ٠

٩٤ـ فلاحة الغرناطي ٤٩ آ ٠

٩٥ـ نفسه : ٤٩ آ ٠

٩٦ـ مفتاح الراحة : ١٦٩ ٠

٩٧ـ فلاحة ابن العوام ١ : ٢٧٩ ٠

٩٨ـ السهلة (بالكسر) : تراب كالرمل يجيء به الماء ٠

٩٩ـ فلاحة البعلبكي : ٨٩ ٠

١٠٠ـ يطيب لي أن أعترف بانني بدأت البحث ـ باستكتاب من الدكتور عبد الكريم اليافي ـ متناولا الرمان من نواحي ثلاث : قصة انتقاله من الشام الى الأندلس ، ومعالجته فلاحيا ، وأخيرا بيان منافعه الطبية ٠٠٠
فلما امتد البحث صفحات تضيق بها دورية ، وان اتسع فيها مجال القول ، عمدت الى اختصاص مجلة « التراث العربي » بالجزء الفلاحي وحده ، مع اشارة ما الى قصة انتقال الرمان الى الأندلس ٠
والشكر للصديق الدكتور اليافي ، لأنه أوحى الي بكتابة البحث جميعه ، فامتعني ـ وهو لا يدري ـ بالاستغراق بما أصبحت معنيا به ، من شأن التاريخ الأندلسي ، وجوانبه العلمية ـ بمصطلح اليوم ـ هذه التي لا تزال أرضا بكرا ، لم تجل فيها الاقلام الا يسيرا ٠

★ ★ ★

□ مراجع البحث :

أولا : المصادر (مسلسلة حسب أزمان مؤلفيها) :

★ قسطوس بن لوقا البعلبكي (توفي بعد ٣٠٠ هـ) : الفلاحة اليونانية (أو الرومية) ، نقله الى العربية سرجس بن هلبا ، القاهرة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٥ م) ٠

★ أبو فراس الحمداني ـ الحارث بن سعيد (ت ٣٥٧ هـ) : ديوانه ، تحقيق الدكتور محمد التونجي ، من منشورات المستشارية الثقافية للجمهورية الاسلامية بدمشق ١٩٨٧ ٠

★ الخشني ـ أبو عبد الله ، محمد بن حارث (ت ٣٦١ هـ) : قضاة قرطبة ، الدار المصرية للتاليف والترجمة بالقاهرة ١٩٦٦ ٠

★ السجستاني ـ أبو سليمان ، محمد بن طاهر ، المنطقي (ت بعد ٣٩١ هـ) : منتخب صوان الحكمة ، تحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوي ، طهران ١٩٧٤ ٠

★ ابن حجاج الاشبيلي ـ أحمد بن محمد (حيا سنة ٤٦٤ هـ) : المقنع في الفلاحة ، تحقيق صلاح جرار وجاسر أبو صفية ، من منشورات مجمع اللغة العربية الأردني ١٩٨٢ ٠

★ الحاج الغرناطي ـ أبو عبد الله ، محمد بن مالك الطغنري (حيا سنة ٤٨٠ هـ) : زهر البستان ونزهة الأذهان (مخطوط) ٠

★ ابن بسام ـ أبو الحسن علي الشنتريني (٥٤٢ هـ) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة (أربعة أقسام في ثمانية أجزاء) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، طبعة دار الثقافة ببيروت ١٩٧٩ ، القسم الأول الجزء الثاني ٠

★ ابن العوام الاشبيلي ـ أبو زكرياء ، يحيى بن محمد بن أحمد (من القرن السادس الهجري) : الفلاحة في الأرضين ، نشر وزارة الخارجية الاسبانية ١٩٨٨ (مصورة عن طبعة مدريد ١٨٠٢) ٠

★ ابن البيطار ، ضياء الدين أبو محمد ، عبد الله بن احمد المالقي (ت ٦٤٦ هـ) : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (أربعة أجزاء في مجلدين) ، دار المدينة (د٠ت) (مصورة عن طبعة بولاق ، القاهرة ١٢٩١ هـ/١٨٧٥ م) ٠

★ ابن الخطيب ـ لسان الدين ، محمد بن عبدالله (ت ٧٧٦ هـ) : الاحاطة في أخبار غرناطة (أربعة مجلدات) ، تحقيق محمد عبدالله عنان ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٩٧٣ ـ ٧٧، المجلد الثاني ٠

★ مجهول (من القرن الثامن الهجري) : مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، تحقيق الدكتور محمد عيسى صالحية والدكتور احسان صدقي العمد ، نشر المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٩٨٤ ٠

★ أبو البقاء البدري ـ عبد الله بن محمد ، المصري الدمشقي(من القرن التاسع الهجري) : نزهة الأنام في محاسن الشام ، القاهرة ١٣٤١ هـ (١٩٢٣ م) ٠

★ الغساني الوزير ـ أبو القاسم بن محمد بن ابراهيم (ت١٠١٩ هـ) : حديقة الأزهار في ماهية العشب والعقار ، تحقيق محمد العربي الخطابي ، دار الغرب الاسلامي ببيروت ١٩٨٥ ٠

★ المقري ـ أحمد بن محمد التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (سبعة مجلدات والثامن فهارس) ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار صادر ببيروت ١٩٦٨ ، المجلد الأول ٠

ثانياً : معاجم وموسوعات :

★ الصحاح في اللغة والعلوم ، للجوهري (ت ٣٩٣ هـ) ،اعداد وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي (مجلدان) ، دار الحضارة العربية ببيروت ١٩٧٤ ٠

★ قاموس الأطبا وناموس الألبا (جزءان) ، للطبيب مدين القوصوني المصري (ت بعد ١٠٤٤ هـ) ، من مصورات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٧٩ و ٨٠ ٠

★ المصطلح الأعجمي في كتب الطب والصيدلة العربية (جزءان) ، لابراهيم بن مراد ، دار الغرب الاسلامي ببيروت ١٩٨٥ ٠

★ معجم الشهابي لمصطلحات العلوم الزراعية (انكليزي ـعربي) ، اعداد أحمد شفيق الخطيب ، مكتبة لبنان ببيروت ، الطبعة الثانية ١٩٨٢ ٠

★ المعجم المدرسي ، لمحمد خير أبو حرب ، وزارة التربية بدمشق ١٩٨٥ ٠

★ المعجم الوسيط (مجلدان) ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار احياء التراث العربي ببيروت (د٠ت) (طبعة مصورة عن الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٢) ٠

★ موسوعة حلب المقارنة (سبعة أجزاء ١٩٨١ ـ ٨٨) ، للاسدي م٠ خير الدين ، اعداد محمد كمال ، من منشورات جامعة حلب ، الجزء الرابع ١٩٨٤ ٠

★ الموسوعة العربية الميسرة (مجلدان) ، باشراف محمد شفيق غربال ، دار احياء التراث العربي ببيروت (د٠ت) (طبعة مصورة عن طبعة دار الشعب بالقاهرة ومؤسسة فرانكلين، ١٩٦٥) ٠

ثالثاً : مراجع ودوريات :

★ الابداع الزراعي في بدايات العالم الاسلامي ، للدكتور اندريو واطسون ، ترجمة الدكتور أحمد الأشقر ، مراجعة وتعليق الدكتور محمد نذير سنكري ، من منشورات معهد التراث العلمي العربي بجامعة حلب ١٩٨٥ ٠

★ مجلة كلية الدعوة الاسلامية (ليبيا) ، العدد السادس١٩٨٩ ٠

★ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد التاسع والخمسون ، الجزء الثالث ، تموز ١٩٨٤ ٠